مقياس تحليل نصوص

ماستر 1/ السداسي 2

تخصص تاريخ المغرب العربي المعاصر

أستاذ المقياس: أ.د. علي العبيدي

محاضرة رقم (2)

عنوان المحاضرة

التفكير التاريخي: مهارات غريزية أم مكتسبة

التفكير التاريخي هدف يجب أن يسعى إليه المؤرخ بالتدريب والممارسة ، وهو الذي يساعد المؤرخ على فهم الحاضر بشكل يتيح على التنبؤ ومواجهة المتغيرات المستقبلية من خلال المشاركة الفعلية والواعية في تحليل تلك الأحداث وربطها بالماضي.

إن مسالة امتلاك مهارات التفكير التاريخي ضرورة ملحة لتعلم التأريخ، لاسيما وان الهدف من دراسة التاريخ ليس التعرف على هذا الكم الهائل من المعلومات والمفاهيم والأحداث والحقائق التاريخية، ولكننا نجد إن دراستنا للتأريخ تواجه مشكلة النوع وليس الكم، لاسيما وان عملية تدريسه لاتزال أسيرة الأساليب التقليدية والنمطية التي لا تعير وزنا هاما للتفكير التاريخي وتنمية مهاراته لدى طلبة التاريخ.

ومن اجل إعداد مؤرخ كامل ومتكامل، يتوجب علينا تنمية مهارات التفكير التاريخي، ونجاح العملية يعني تكوين عقول متفتحة قادرة على إصدار الأحكام والمناقشة الهادفة. ليتمكن المؤرخ من تجاوز التفسيرات المدرسية والنمطية للأحداث التاريخية، وإعادة كتابته بشكل مختلف عمن سبقه، والوصول الى النتائج المرجوة، ومن هنا، فان مهارات التفكير التاريخي هي عبارة

عن وحدة واحدة ومتكاملة ومتداخلة تساعد المؤرخ على الاستخدام الفعال لطرق ذهنية في التعامل مع المعرفة التاريخية وتنظيمها او معالجتها لاكتشاف علة الأحداث الماضية.

ماهية التفكير :

استطاع الإنسان أن يحقق معظم حاجاته المادية عن طريق البحث والتقصي، الا انه لم يستطع أن يحقق كل رغباته وحاجاته النفسية، وعن طريق التفكير تلك الهبة الإلهية يستطيع الإنسان أن يواجه مواقف الحياة، فقد يتعرض الفرد الى مواقف التي تتطلب منه وقفه ليفكر فيها، وقد تطول هذه الوقفة تبعا لنوع الموقف وحجمه. وكذلك الحال بالنسبة للمؤرخ ، فعليه أن يقف أمام بعض الأحداث التاريخية ليفكر فيها ويحللها ويربطها بأحداث سابقة، لكي يتمكن من استيعابها وإصدار الأحكام عليها.

وعليه، فان التفكير هو عملية عقلية معرفية تتمثل بالاستجابة للمعلومات بعد أن تمر بمعالجة معقدة تشمل التخيل والتحليل وإصدار الأحكام وحل المشكلات، ومن هنا، فان التفكير استكشاف عقلاني للخبرة يهدف الى الوصول لهدف محدد.

وبناء عليه، فان مفهوم التفكير معقد ومتعدد الأنواع، وله أبعاد كثيرة بما يعكس في النهاية تعقد العقل البشري وتعدد وظائفه.

التفكير التاريخي:

إن التاريخ لم يعد مجرد رصد أو سرد لوقائع الأحداث أو تمجيد لأشخاص، إنما يمكن القول بأن وظيفة علم التاريخ هي محاولة استدعاء ما حدث في الماضي، عن طريق معرفة الأحوال والأحداث التي حدثت، ليس من أجل إعادتها مرة أخرى في الحاضر الذي نعيشه، بل تفسير هذه الوقائع والأحداث في ضوء تحليل المكونات المختلفة للمجتمعات والتغيرات التي طرأت

على هذه المكونات، واكتشاف أسباب هذا التغير والتحول، ومعرفة العناصر التي أدت إلى هذا التغير.

ولعل من أهداف إعادة كتابة التاريخ، والتي يغفل عنها الكثير من المؤرخون، إدراك حقيقة التغير في المجتمعات، إذ إن التغير عملية اضطرارية ومستمرة، ومن دراستنا لتتبع الوقائع التاريخية، نلاحظ أن هناك فترات من التاريخ تميزت بالبطء، فالتغير لا يسير بوتيرة واحدة، وبالتالي فهو يهتم بدراسة التطور الاجتماعي، والمؤرخ وحده هو الذي يوضح حتمية التغير وأهميته، كما أنه يقيس التقدم في ميادين عديدة، وقد يصل -عن طريق التحليل المستمر للتقدم في يوم ما- إلى قوانين يمكن عن طريقها القبض على زمام الجماعة وتوجيه سيرها نحو التقدم المرغوب.

والتاريخ كعلم يشارك العلوم الأخرى في أهم ما يميزها، وأن كان له منهجا خاصا للبحث والتفكير؛ ولذلك فهو ينطوي على قيمة إنسانية كبيرة، فهو إذا أحسن كتابته يتيح الفرصة للمتعلمين للنشاط العقلي والإبداعي، ويفسح مجالًا واسعًا أمام الطلاب لإشباع حب استطلاعهم والتدريب على النقد والتمييز والتفكير للمستقبل.

ولما كانت كتب مناهج البحث العلمي عامة، ومناهج البحث التاريخي خاصة تساعد على اشتقاق مهارات التفكير والبحث التاريخي اللازمة، وتحديد الخطوات التي يمر بها المؤرخ، كان من الضروري فهم طبيعة هذا المنهج لمعرفة هذه المهارات والتمكن منها، وإن اختلفت درجة تمكن منها.

ولعلنا ندرك أن دراسة التاريخ في أصلها هي دراسة نقدية وتحقيق، بمعنى تقوم على أساس التحليل والتعليل، والربط بين الأسباب والنتائج، وترتيب الأحداث، وربط الزمان بالمكان، وهذا يتطلب من المؤرخ عند دراستها أن يكون مزود بمهارات التفكير التاريخي، التي تمكنه من أن يبحث ويتساءل، إلى أن يصلوا إلى الحقائق التاريخية المدعومة بالأدلة؛ ومن ثم فإن إكتساب المؤرخ مهارات التفكير التاريخي، ضرورة ملحة وأساسية في شخصية المؤرخ، مهما كان.

وعليه، فان التفكير التاريخي هو عملية جمع وربط للحقائق التاريخية وعرض النتائج في صورة منطقية بعيدة عن التحيز والتعصب، تتميز بالمناقشة المنطقية والتوصل إلى إصدار أحكام مدعمة بالأدلة وإدراك أن كل نتيجة يمكن عدها فرضا قابلا للرفض والقبول وذلك في ضوء ما يستجد من ادلة وبراهين

أهمية مهارات التفكير التاريخي:

من خلال حديثنا السابق، فان مسالة امتلاك مهارات التفكير التاريخي مسالة اكثر من ضرورية ولابد منها، وقد لا يتصور البعض من ان التساهل بها يعني تشويه اوقتل لحياة شعوب ومجتمعات، لكون الافتقار اليها قد يجعل، من يتصف بصفة المؤرخ، عاجز في وضع ذلك الشعب او المجتمع في مساره الصحيح، في حال عجز عن ربطه بماضيه وتاريخه.

ومن هنا، فان أوجه أهمية مهارات التفكير التاريخي تتجلى في ثلاث أوجه إذا ما تمكن المؤرخ من التعامل معها وإتقانها، فإننا سوف نطمئن على ان البحث التاريخي في سياقه الصحيح، وهي:

1. **أدارك الإشكاليات واليات التعامل معها.**
2. **تقديم القرائن الدامغة بما لا يدعو للشك إزاء الموضوع المدروس.**
3. **التنبؤ وتحديد العلاقة بين الظواهر وبين البيئة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.**

طبيعة مهارات التفكير التاريخي:

فيما يخص طبيعة مهارات التفكير التاريخي، فهي متنوعة وكثيرة، ويتوجب على المؤرخ العمل على تطويرها وتنميتها بالشكل الذي يساعده على توظيفها بالشكل الصحيح، بما يمكنه من تقديم عمل تتوفر فيه شروط البحث الناجح، ومن المهارات التي يتوجب امتلاكها من قبل المؤرخ من اجل التفكير التاريخي الصحيح، هي:

1. مهارة تحديد وتعريف المشكلة محل البحث:
2. مهارة تحديد الغاية من وراء انجاز البحث.
3. مهارة جمع البيانات والمعلومات والاختيار الصحيح للمصادر.
4. مهارة صياغة الأسئلة أو الفرضيات البحثية.
5. مهارة ترتيب الأحداث التاريخية ترتيبًا زمنيا ومكانيا.
6. مهارة قراءة المادة التاريخية وفهمها وتحليلها والاستنتاج الصحيح.
7. مهارة وضع او إيجاد الإجابات للمشكلة المطروحة.
8. مهارة كتابة المحتوى بما يمكن المؤرخ بإيصال أفكاره للقارئ بشكل دقيق.

ومن اجل أن يكون المؤرخ قادرا على جعل تفكيره إبداعيا وذا مستوى عال، فانه من الضروري العمل على تنمية هذا التفكير الإبداعي، وذلك عبر:

1. تدريب العقل على كسر الروتين من خلال تعزيز قدرة التخليل والابتكار.
2. التدريب باستمرار على التفكير الإبداعي (بمعنى التفكير بشكل مختلف عن الجانب التقليدي الذي اعتاد عليه المؤرخ).
3. التدرب على شرح أي موضوع أو فكرة في عدد محدود من الجمل(ثلاث جمل مثلا).

السؤال الذي يطرح نفسه الآن: هل مهارات التفكير التاريخي غريزية ام مكتسبة؟. ان الجواب على هذا السؤال، وفي ضوء المعطيات المنهجية والتقنية، فاننا يمكن ان نقول انها تجمع الاثنين معا(غريزية - مكتسبة)، فإذا ما نظرنا الى المهارات السبع التي اشرنا اليها نجدها ، تجمع ما بين الصفات الغريزية التي يجب ان يتمتع بها المؤرخ، والتي تنمو ذاتيا وعبر سنوات في اطار شخصيته العلمية، والصفات المكتسبة التي تأتي من خلال التدريب المستمر والمتواصل من اجل ترسيخها وتدعيمها بما يمكنه من أداء عمله بالشكل الصحيح.

وبناءا على الاستنتاج السابق، يتبادر لدينا سؤال آخر لايقل أهمية عن سابقه: ما الذي يحدث في حال عدم استخدام مهارات التفكير التاريخي؟. للجواب على هذا السؤال، يمكننا القول إن عدم استخدام مهارات التفكير والبحث

التاريخي الصحيح فانه سوف ينتج عن ذلك بحث مشوه، قائم على أساس ضعيف وغير قادر على الصمود في وجه الانتقاد العلمي الذي يوجه إليه في الكثير من مفاصله، لان من دون مهارات التفكير التاريخي لا يمكننا الإلمام بالمسلمات التاريخية التي تساعد المؤرخ على التفكير ، وبشكل متقن، في السير ببحثه نحو بر النجاح.

وكذلك ، لابد من الإشارة إلى أن التفكير التاريخي له فلسفته الخاصة التي تميزه عن بقية أنواع التفكير الأخرى، والتي يمكن تحديدها بمايلي:

1. يركب الأحداث البشرية في حيزها الاجتماعي والزماني من خلال علاقة الإنسان بغيره واثر هذه العلاقات على معتقداته وأساليبه الحياتية وفكره وعمله، فهو يبحث عما حدث قبله وجاء إليه، وعن ما سيقوم به ويذهب لمن هم بعده.
2. التفكير التاريخي مرتبط بالإنسان ولا شي غيره، لأننا نعلم من انه لا تاريخ بلا إنسان حيث لا علاقة للكائنات الأخرى بالتاريخ إلا بمقدار ما تؤثر او ما يؤثر فيها.
3. يبحث التفكير التاريخي في الحياة البشرية وما تتضمنه من أنشطة إنسانية لكون وراء أي اثر أو نقش أناس عاشوا وجاهدوا واختبروا اختبارات قد تكون مماثلة لحاضرنا.

خلاصة القول: أن التزود بمهارات التفكير التاريخي تعتبر مسالة ضرورية من جانب المؤرخ إن كان مستجد أو خبير، فيجب الاهتمام بها عند دراسة لأحداث التاريخية. وكذلك، أن يعمل على تنميتها وتكريسها في شخصيته بما يمكنه من التعامل مع المادة التاريخية بما يتناسب مع طبيعة دراستهم، لان الغاية من وراء كتابة البحث التاريخي، هي المعرفة وفهم العلاقات مابين الأحداث ذاتها ومابين الماضي والحاضر والمستقبل، فالتاريخ ليس مجرد ترتيب الحوادث والوقائع زمانيًّا ومكانيًّا، ولكن هدفه الرئيس فهم تلك الحوادث من خلال كشف العلاقة بينها، وتفسيرها، والتعامل مع المادة التاريخية بالنقد، والتحليل، وإدراك

الإطار الصحيح لها، والكشف عن حقيقتها وفهم طبيعتها وملابساتها، وإدراك تلك الحقائق بموضوعية، واستخلاص نتائج صادقة وواقعية ومقبولة علميًّا.

وعليه، فإن دراسة التاريخ لم تعد مجرد ذكر أخبار حروب ومعاهدات وسير الرجال وغيرها من الحوادث، ولم يعد تدريسه مجرد نقل للمعلومات والمعارف والحقائق التاريخية إلى أذهان المتلقين فحسب، ولكنه يعتبر طريقة من طرق التفكير العلمي، فهو قائم على النقد والمقارنة وعدم قبول الأحكام كقضايا مسلم بها، مهما كان مصدرها، إلا بعد وزنها عقليًّا، وربط السبب بالنتيجة، وتعليل الحوادث، وإرجاعها إلى دوافعها الأصلية.